التطور الدلالي للألفاظ عند ابن السكيت

الأستاذ الدكتور
حيدر جبار عيدان
المدرس المساعد
ثائر عبد الفاضل كاطع
جامعة الكوفة - كلية الآداب

التطور الدلالي للألفاظ عند ابن السكيت

الأستاذ الدكتور
حيدر جبار عيدان
المدرس المساعد
ثائر عبد الفاضل كاطع
جامعة الكوفة - كلية الآداب

أنَّ التطور الدلالي جانب من جوانب التطور الذي يصيب اللغة، فقد تتعرض اللغة بجميع عناصرها (الأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها) إلى التغيير والتطوّر، فاللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال على الرغم من أن حركة تطورها قد تبدو بطيئة في بعض الأحيان(١).

شكل تطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات لاحظها وتبينها دارسو نمو اللغة عبر الأطوار التاريخية ،وقد لاحظ علماء العربية قديما هذه الظاهرة ووصفوها في كتبهم غير أن وصفها عندهم كان وصف المتشائم الذي ينظر الى هذه الظاهرة نظرته الى الداء الذي تفشى في اللغة وألفاظها ،وعدّوها من مظاهر اللحن في اللغة فعقدوا لها الفصول والأبواب وصنفوا فيها المصنفات ،وأول ما يطالعنا من هذه المصنفات (ما تلحن فيه العامة) للكسائي (ت ١٨٩هـ)،ومن أوائل من ذكر هذه الظاهرة وتحدّث عنها ابن السكيت في (إصلاح المنطق) فالكتاب يبيّن للقارئ أنّه يصب اهتمامه على تصحيح ما عده العلماء لحناً في اللغة ،وذكر ابن السكيت ظاهرة التطور الدلالي في ثلاثة أبواب وابتدأ كل باب منها بقوله : (ومما تضعه العامة في غير موضعه)(٢) ،ثم

أنه ذكرها في كتاب مستقل آخر هو (الحروف التي يتكلّم بها في غير مواضعها) إذ أفرد معظم ما ذكره فيه لهذه الظاهرة فضلا عن ذكرها بصورة متفرقة في كتبه الأخرى .

ومن الكتب التي تحدثت عن هذه الظاهرة كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) اذ وضع في كتابه بابا لـ (معرفة ما يضعه الناس في غير مواضعه)(٣)،ووضع أيضاً (باب الحرفين يتقاربان في اللفظ والمعنى ويلتبسان)(٤)،ومنهم أيضا ابن دريد (ت٣٥١هـ) في معجم الجمهرة بوضعه باب (الاستعارات)(٥)، وذكرها غيرهم (٦) .

اختلفت نظرة الدارسين العرب المحدثين عن نظرة العلماء القدماء الى هذه الظاهرة ،فقد نظروا الى اللغة بصورة عامة من منظور الدراسات الغربية الحديثة ،ولما كان علماء الغرب يعدون اللغة كائنا حيا ،فقد خلع علماء اللغة المحدثون على الألفاظ طابع الحياة ، وبذلك يمكن للألفاظ التطور مما يتيح للغة أن تتطور تبعا لذلك (٧)، يذكر (ستيفن أولمن) إن التطور في اللغة أمر حتمي يمثل وجها من وجوه تطور الحياة ،وهو في معناه البسيط التغيير الذي يطرأ على اللغة سواء أكان في أصواتها أم في دلالة مفرداتها أم في الزيادة التي تكتسبها اللغة أم النقصان الذي يصيبها ،وذلك كلّه نتيجة عوامل مختلفة ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة في الأمم في مجالاتها كافة (٨).

إنَّ التطور اللغوي عند المحدثين لا يمثل عملية اعتباطية بل هو عملية تتضمن اتجاهات عامة وقواعد مطردة وكانت الشغل الشاغل لعلم المعنى حتى وضعت لها قوانين أطلق عليها (قوانين المعنى)، وما زالت بهذه القوانين حاجة إلى مزيد من البراهين الواقعية قبل أن نحكم على صحتها ومدى اطّرادها حكما سليماً(٩) ، ولهذا التطور عوامل لحدوثه حدد العلماء كثيراً منها، وهي عوامل لغوية، وتاريخية، واجتماعية، ونفسية(١٠) وغير ذلك(١١)، ثم قالوا إنَّ

هذا التطور يقسم على قسمين أحدهما: تطور لا شعوري،وهو ما تمَّ في كلّ لغة وبيئة لغوية من دون أن يفطن إليه إلّا عند المقارنة بين عصور تلك اللغة أو البيئة اللغوية، وثانيهما: التطور المقصود المتعمّد الذي يقوم به المجامع اللغوية ، والملاحظ على التطور المقصود أنه أقل أثراً في اللغات بوجه عام، ولذلك نراه ينحصر بيان أثره في الجيل الواحد ،ويمكن أن يلاحظه المرء في حياته (١٢).

أولاً – أسباب التطور الدلالي عند المحدثين :

ذكر علماء العربية المحدثون أسبابا كثيرة لظاهرة التطور الدلالي في اللغة العربية(١٣) ،ومن أبرزها :

أ- **كثرة الاستعمال** :

فقد يزيل كثرة الاستعمال عموم معنى لفظ ما ويقصر دلالته على حالة من الحالات التي شاع فيها استعماله ،وهذا كثير في اللغة ،ومن ذلك الصلاة فمعناها في الأصل الدعاء ،ثم شاع استعمالها في الإسلام على العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء (١٤)، وقد يحصل العكس لكثرة الاستعمال فقد يكثر استعمال الخاص في معان عامة عن طريق التوسع ،ومن ذلك الورد ،فأصل الورد إتيان الماء وحده ،ثم شاع على ألسن الناس حتى عدوا كل إتيان وردا(١٥).

ب- **انتقال مدلول الكلمة من الحقيقة الى المجاز** :

قد تنتقل اللفظة من المعنى الحقيقي الى المعنى المجازي ،وبمرور الوقت وتقادم الايام يحل المعنى المجازي محل المعنى الحقيقي ،وقد يخفى على الناس المعنى الحقيقي فلا يعرفوا اللفظ إلا بالمعنى المجازي على أنه معناه الحقيقي ،ومن ذلك كلمة (الوطيس) فهي حفرة في الارض يختبز فيها أو هي التنور(١٦)،واستمرت دلالة اللفظ على هذا المعنى حتى معركة حنين ،وفيها قال الرسول (صلى الله عليه وأله وسلم) :((الآن حمي الوطيس))(١٧) وهي

كلمة لم تسمع الا منه ،ثم شاع المعنى المجازي فلا يعرف الوطيس الا بالحرب(١٨) .

ج- انتقال اللفظة بتعاقب الأجيال :

تتغير معاني بعض الألفاظ عند انتقالها في أجيال عدّة من السلف الى الخلف (١٩)،ومن هذه الكلمات كلمة البهلول ،فالبهلول من الرجال قديما ((الحسن الخلق الضحاك))(٢٠) ،يقول الدكتور رمضان عبد التواب عن كلمة البهلول : كانت قديما تعني السيد ،وأصبحت الآن تعني الرجل الأبله أو المعتوه(٢١).

د- اشتقاق الألفاظ للدلالة على المعنى المعنوي من المعنى الحسي :

تستعمل كثير من الألفاظ في اللغة العربية للدلالة المعنوية وإن عدنا الى أصل وضعها وجدناها تدل على المعاني الحسية ،وما تغيّرت الدلالة الّا لتشابه في الصور الذهنية.

وهناك أسباب أخرى يذكرها المحدثون منها :تغير مدلول الكلمة تبعا لتغير طبيعة الشيء أو عناصره أو وظائفه ،وذلك نحو كلمة القطار فإنها كانت تطلق على مجموعة من الإبل تسير في السفر واليوم أُطلقت على الآلة المعروفة (٢٢)، ومن هذه العوامل أيضاً الابتذال ،ويصيب الابتذال في الغالب الكلمات ذات الدلالة القوية في نظر الجماعة اللغوية (المجتمع) فتتحول من كونها نبيلة أو رفيعة المستوى أو قوية الى دلالات دون ذلك مرتبة ،،ويرى الدكتور محمود السعران أن أكثر الكلمات التي تميل الى أن تنحط في دلالتها هي التي تدور في فلك الحياء وما يتصل به من مشاعر الخجل(٢٣) ،ويذكر أن من الكلمات ذات الدلالة القوية التي هان شأنها فيما بعد نسبيا : تهديدنا الخصم عند الشجار العادي بـ(القتل) وذلك لا يحدث بطبيعة الحال ،لذا لا يُعدُّ في نظر القضاء شروعا في القتل فعلاً(٢٤).

ثانيا : تطور دلالة الألفاظ عند ابن السكيت :

مما لا شكَّ فيه إنَّ علم الدلالة يرى أنَّ الألفاظ تتطوّر تطورا مستمرا فتكتسب عبر الزمن معاني مختلفة لم تكن موجودة من قبل تكون أشباها لمعناها الأصلي ،أي إنَّ اللفظة تعيش حياة متجددة ،وهي ملازمة للتغيير أبدا في دلالاتها في طرائق استعمالها(٢٥)،وأبرز ما حدده علماء الدلالة من مسالك تسلكها اللفظة في تطورها : تخصيص العام ،وتعميم الخاص ،وتطور الدلالة بالنقل(٢٦) ،وعند قراءة على كتب ابن السكيت وجدت ما تبناه علماء الدلالة المحدثون حاضرا في ذهن ابن السكيت عند معالجته لدلالات ألفاظ كثيرة ،من دون أن يضع لها تبويبا أو تصنيفا ما خلا ذكره للاتجاه العام قبل معالجة هذه الألفاظ بقوله (ومما تضعه العامة في غير موضعه)(٢٧) ، وبحسب ذلك فقد قسمت مسالك تطور دلالة الألفاظ عند ابن السكيت بحسب المسلك الذي سلكه لبيان تطور الألفاظ وهي كالآتي :

١- التخصيص الدلالي:

هو قصر دلالة اللفظ العامة ببعض أجزائها فيضيق شمول اللفظ ويصبح مدلوله مقتصرا على أشياء أقل عددا ممّا كان يدلّ عليه اللفظ في الأصل،كلفظ السبت الذي كان يدل قديما على عموم الدهر ،ثم خصص بأحد أيام الأسبوع (٢٨)،إذ كان اللفظ عاما في دلالته على الوقت ،ثم حدد في حيّز أضيق عما كان عليه في الأصل ،فدلَّ على جزء من معناه الأصلي .

وقد تنبه ابن السكيت الى هذا المسلك الدقيق من مسالك التطور اللغوي ،فذكر مجموعة من الألفاظ التي يمكن أن تعدُّ ضمن هذا المسلك ،ومنها لفظ (الصَّدق) ،فقد فرق بين (الصّدقُ) بفتح الصاد ،و(الصِّدق) بكسرها ،فهي بالكسر ضدُّ الكذب ،أما بالفتح فيرى فيها معنى الصلابة ،فهي الصلب من كل شيء ، ((يقال :رمح صدق، أي صلب؛ ويقال هو صدق النظر))(٢٩) إذا

كان نظره قويا صلبا ،ويرى ابن السكيت أنَّ قولهم: ((صدقوهم القتال))(٣٠) ،مشتق من معنى الصلابة في (الصَّدق) ؛لأنَّهم جلدوا للأعداء وثبتوا عند قتالهم ،وبذلك تخصصت الدلالة العامة عند ابن السكيت ،فبعد أن كان اللفظ دالا على مطلق الصلابة تخصّص بما يضاف إليه عنده ،فقيل : صَدقوهم القتال ،ورجل صَدق النظر: أي صُلبَهُ (٣١)،وخالف ابن درستويه (ت٣٧٤هـ) قول ابن السكيت فانتقد متابعة ثعلب (ت٢٩١هـ) في كتاب (الفصيح) لمن سبقه من الكوفيين في التفريق بين (الصّدق) بفتح الصاد وكسرها ،بقوله : ((ليس الصَّدق من الصلابة في شيء ،لا في معنى ولا في لفظ ،ولكنَّ أهل اللغة أخذوا ذلك من نعت وجدوه في بيت شعر ،فظنوا انه من الصلابة في كلِّ شيء ،وفي كل موضع ،وهو في قول الشاعر في نعت رمح :

❖ في حالِكِ اللَونِ صَدقٍ غَيرِ ذي أَوَدِ ❖

والرمح قد ينعت بالتقويم ، كما ينعت بالصلابة ،وينعت بالتمام والطول وبغير ذلك فإنما معنى قول الشاعر في الرمح : الجامع للأوصاف المحمودة الكامل،ولم يرد الصلابة دون غيرها ،والصَّدق لا يدلُّ على الصلابة))(٣٢) ،إلّا انه قد اغفل أن ابن السكيت قد اعتمد على غير هذا البيت في بيان معنى الصلابة في لفظ (الصَّدق) ؛إذ فسَّر قول الحطيئة :

بِكُلِّ قَناةٍ صَدقَةٍ رُدَنِيَّةٍ إذا أُكرِهَت لَم تَنأطِر وَاِتمَأَرَّتِ(٣٣)

بقوله : صَدْقَةٍ : صلبة ،ويقال :صدق النظر : أي صُلبَهُ ،فالمعنى هنا لا يحتمل غير أن يدل اللفظ على الصلابة ،بدليل قول الشاعر ردينية ،إذ لا يصح أن تقول بكل قناة كملت أوصافها وعلاماتها الردينية ؛لأنَّ القناة الردينية لها أوصاف معلومة ،إن وجدت قيل فيها ردينية ،وإلّا فهي غير ذلك ، وكذا فعل ابن السكيت في قول النابغة الذبياني :

فَظَلَّ يَعجُمُ أَعلى الرَوقِ مُنقَبِضاً في حالِكِ اللَونِ صَدقٍ غَيرِ ذي أَوَدِ(٣٤)

إذ يذكر أَنَّ الصَدق هنا تعني :الصلب(٣٥).

ومن الألفاظ التي تطورت دلالتها عند ابن السكيت بالتخصيص (النحب) فأصل معناه عند أهل اللغة (النذر)(٣٦)،وهذا بيّن في شرحه لقول الحطيئة :

وَما زِلتَ تُعطي النَفسَ حَتّى كَأَنَّما يَظَلُّ لِأَقوامٍ عَلَيكَ نُحوبُ(٣٧)

إذ يرى إنَّ معنى (نحوب) في هذا البيت مأخوذة من (النحب) بدلالته العامة على مطلق النذر سواء أكان في صوم أم ذبح أم في صدقة ،وكلمة (نحوب) هنا تعني (نذور)(٣٨) ،ثم تتخصص الدلالة العامة للفظ عند ابن السكيت لتدل على القتل خاصة ،وذلك بقوله :((قضى نحبه يقضيه قضاء. قال الله تبارك وتعالى : چپ پ پڀ چ ﴿الأحزاب: ٢٣﴾ ،ويروى أن رسول الله﴿صلى الله عليه واله وسلم﴾مرَّ على مصعب بن عمير،وهو منجعف(٣٩) على وجهه يوم أحد،وكان اللواء معه،فقالچپ پ پڀ ...چ))(٤٠) ويشرح ابن قتيبة كيف تطوّر اللفظ من دلالته على مطلق النذر الى دلالته على القتل بقوله : ((وأصل (النحب): النذر ،وكان قوم نذروا- إن لقوا العدوَّ- : أن يقاتلوا حتى يُقتلوا أو يفتح الله ؛ فقُتِلوا . فقيل فلان قضى نحبه ؛إذا قُتِل))(٤١) ، فالدلالة العامة للفظ قد تخصصت وتحوّلت من كونها مطلق النذر الى نوع خاص من النذر وهو القتال حتى الموت ،ثم تخصصت بالموت فقط .

ومن هذا المسلك شرحه لدلالة اللفظ (أرمل) بقوله : ((الأرامل : المساكين من جماعة رجال ونساء ،ويقال لهم الأرامل وإن لم يكن فيهم نساء .ويقال جاءت أرملة من نساء ورجال محتاجين ،ويقال للرجال المحتاجين الضعفاء : أرملة وأرامل وإن لم يكن فيهم نساء ،وقد أرمل القوم إذا نفد زادهم ،وعام أرمل قليل المطر .وسنة رملاء))(٤٢) واذا ما دققنا وانعمنا

النظر في نصّه السابق نجده يشدد على أنَّ اللفظ مشترك بين الرجال والنساء ولا يقتصر الوصف به على النساء فقط ،بدليل أنه ذكر مرتين عبارة (وان لم يكن فيهم نساء) وهذا دليل على بداية تغير دلالة اللفظ في زمن ابن السكيت ليختص بالنساء فقط ،ومما يدلنا على هذا التغيير أيضا ما ذكره أبو بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ) في لحن العوام ،إذ ذكر أن العامّة تخصّ النساء بهذا اللفظ وهو للرجال والنساء على حد سواء ،ثم يذكر بعضا من نص ابن السكيت السابق للدلالة على صحة ما ذهب إليه(٤٣)،وتصدق الدلالة العامة لهذا اللفظ على المذكر والمؤنث المفرد منه والجماعة ،ثم تطوّر اللفظ بتخصيص معناه ليدل على جزء مما كان يدل عليه في الأصل ،وهو دلالته على النساء من دون الرجال .

وإذا ما تابعنا التزام ابن السكيت بما أقرّه في دلالة هذا اللفظ نجده ميالا الى رأيه متابعاً له في كثير من المواضع ، إذ شرح قول الحطيئة :

مُقيـــــــمٌ عَلى بُنيانَ يَمنَعُ ماءَهُ وَماءُ وَسيعٍ ماءُ عَطشانَ مُرمِلِ(٤٤)

بقوله : ((مرمل :أي لا زاد له ،وقد أرمل الرجل ،إذا أفنى زاده))(٤٥) ،ويشرح قول الحطيئة أيضا :

وَقِدراً إِذا ما أَنفَضَ القَومُ أَوفَضَت إِلى نارِها سَعياً إِلَيها الأَرامِــلُ(٤٦)

يقول :((الأرامل :المساكين))(٤٧)،من دون أن يحدد جنسا للفظ فيتركه مطلقا ليعمَّ الرجال والنساء ،ويشرح قوله أيضا :

وَقَومٍ لَحا لَحوَ العِصِــيِّ فَأَصبَحوا مَراميلَ بَعدَ الوَفرِ بيضَ المَبارِكِ(٤٨)

بقولـه : إنَّ المراميـل الـذين لا شـيء لهـم ،وقـد أرمـل القـوم ،إذا نفـد زادهم(٤٩) ، ووما يفسره أيضا ويشرحه بحسب ما اقره من دلالة هذا اللفظ قول عروة بن الورد :

عَلَيها مِنَ الوِلدانِ ما قَد رَأَيتُمُ وَتَمشي بِجَنَبيها أَرامِــلُ عُيَّلُ(٥٠)

أي يُطاف بها من النساء والصبيان والأرامل ،والأرمل :المحتاج أو المسكين(٥١) ،غير أن ابن السكيت ما يلبث أن ينصاع لهذا التغيير والتطور الدلالي فيفسّر اللفظ بأنّه للمرأة المحتاجة المسكينة ،وهذا واضح في شرحه لقول طرفة بن العبد :

أَلقَوا إِلَيكَ بِكُلِّ أَرمَلَةٍ شَعثاءَ تَحمِلُ مَنقَعَ البُرمِ

اذ يقرّ بأن اللفظ في هذا الموضع يُفسّر على أنّه للمرأة ،بقوله : الأرملة : المحتاجة المسكينة ،على الرغم من تصريحه في موضع آخر أن الأرملة لجماعة المساكين من الرجال والنساء(٥٢) .

ومن هذا المسلك أيضا لفظ (ذفر) إذ يطلق في الأصل على كل ريح من طيب أو نتن ،يقال مسكن أذفر(٥٣) ،ويشرح ابن السكيت بحسب هذا المعنى قول الحطيئة :

تَرى الزَعفَرانَ الوَردَ فيهِنَّ شامِلاً وَإِن شِئنَ مِسكاً خالِصاً ريحُهُ ذَفِر(٥٤)

إذ يفسره بقوله : ((والذفر الذكي الريح ،يقال مسك ذفر وأذفر ،والذفر ذكاء الريح من طيب أو نتن))(٥٥) ثم حصل تخصيص لهذا المعنى ،فقيل لمن يخبث ريحه أذفر ،وأطبق على الصنان ذفر ،وذكر لذلك شواهد عدّة تتخصّص فيها دلالة اللفظ فتدلّ على الريح الخبيث (٥٦)، منها :

ومُؤَلَّقٍ أَنْضَجْتُ كَيَّةَ رأسِهِ وَتَركتُهُ ذَفِراً ،كَرِيحِ الجَورَبِ (٥٧)

ويصف الشاعر مجنون (مؤلق) تعرض لهجاء الشاعر ،فرده الشاعر برد يشبه الكيَّ لرأس المجنون ،وترك ريحه بعد الكي كريهة كريح الجورب (٥٨)،أي إنَّ (الذفر) هنا تخصصت وشرحت بحسب الريح الخبيث ،وهذا تخصيص لدلالة اللفظ العامّة .

ومن هذا الباب أيضا لفظ (الشفر) فشفر كل شيء حرفه وطرفه ،ومنه يقال شفر الوادي ،وشفر الرحم ،وشفر العين (٥٩)، وشفر السيف(٦٠) ،ومشافر الناقة (٦١)وهي نظير الشفتين عند البشر ، ثم خصصت دلالة اللفظ لتدل على شفر العين ،فقيل في الدار الفارغة : ما بها شفر ،ويراد به شفر العين (٦٢).

٢- التعميم الدلالي :

يدخل تعميم الدلالة بعض الألفاظ كما يدخلها التخصيص ،فتتوسع دلالة اللفظ ليصبح أعم وأشمل مما كان عليه سابقاً(٦٣)، إذ ((تستعمل الكلمة الدالة على فرد أو على أفراد الجنس أو أنواعه للدلالة على أفراد كثيرين أو على الجنس كله))(٦٤) ،ومن أمثلة التعميم في اللغة لفظ (مكتب) ،فدلالتها في الأصل على ما يكتب عليه ،ثم عممت لتدل على مكتب الأستاذ ،ومكتب الطبيب ،ومكتب الوزير ،ومكتب العدالة (٦٥).

إن هذه الظاهرة تبدو واضحة في الصفات والنعوت فنجد في اللغة العربية عشرات من الأسماء جعلت للحية والسيف والعسل وغير ذلك، وقد تحوّلت طائفة من الأعلام إلى صفات أيضاً كما في (حاتم) للدلالة على الكرم و(عرقوب)للدلالة على النكث بالوعد (٦٦).

وقد فطن ابن السكيت الى هذا المسلك من مسالك تطور دلالة الألفاظ فشرح دلالات الألفاظ التي أصابها تعميم الدلالة الخاصة من ذلك لفظ (القَفْل) في قول الحطيئة :

أَلا آلُ لَيلـــى أَزمَعـــوا بِقُفُـــولِ وَلَـم يُنظِروا ذا حاجَةٍ لِرَحيلِ(٦٧)

إذ يرى أن أصل القفل ما يبس من الشجر ،وهذا هو معناها في الأصل ،ثم عمّم اللفظ على كل يابس أو ضامر من فرط الجوع والعطش ، فقيل قفل جلده من الصوم يقفل ،إذا يبس ،وخيل قوافل ،أي :ضوامر ،وقد قَفِل من

سفره يَقْفُلُ قُفُولاً و قَفْلاً ،إذا عاد على خيل أو نوق قوافل أي ضوامر(٦٨) ،ويذكر ابن السكيت في موضع آخر قول الشاعر :

يـــا زيـــدُ ،أبشِـــرْ بِأبِيـــكَ قَـــد قَفَـــلْ
عَـــشٌ أمـــامَ القَـــومِ دائِـــمُ النَّسَـــلْ
حَولَـــوَلٌ إذا وَنَـــى القَـــومُ نَـــزَلْ(٦٩)

إذ دلَّتْ لفظة (قفل) في هذا البيت على الضمور بدلالة قوله (عشٌ)التي تعني في اللغة :قليل اللحم ،ويقال إنَّه لقافل الجسم اذا كان يابس الجسم ،والأصل أن يقال لما يبس من خشب أو نبات :قفل(٧٠) ،وبذلك تطور معنى لفظ (القَفْل)من الدلالة على الشجر اليابس الى تعميم اللفظ على كلِّ يابس أو ضامر.

ومن مسلك تعميم الدلالة ما ذكره ضمنا في دلالة لفظ (الخيف) إذ ذكر أنّه في الأصل ما انحدر من أعلى الجبل من أحجار واستقر مرتفعا عن مسيل الوادي ، أي إنَّ اختلاف موضع الأحجار في الجبل يدعى خيفا ،ثم أطلقت العرب على الموضع الذي تستقر فيه الأحجار المنحدرة من أعلى الجبل خيفا وهذا جائز في العربية ،ومنه قيل مسجد الخيف ؛لأنه بني في هذا الموضع ،ثم عممت العرب دلالة اللفظ على كلِّ اختلاف فقيل إنَّ الخيف : أن تكون إحدى العينين زرقاء والأخرى كحلاء ،ومنه قيل الناس أخياف مختلفون(٧١) .

وبحسب هذا المعنى فسّر ابن السكيت قول الحطيئة :

قَد يَملَأُ الجَفنَةَ الشيزى فَيَترِعُها مِن ذاتِ خَيفَينِ مِعشاءٍ إِلى السَحَرِ(٧٢)

إذ يقول : ((أي : من ناقة ذات خيفين ، والخيف : جراب الضرع ،وإنما لها خيف واحد ،فذهب الى جانبي الضرع))(٧٣) ،ومع وجاهة رأي ابن السكيت في هذا الموضع إلّا إني أظن أنَّ الشاعر أراد بالخيفين اختلاف حجم ضرع الناقة وشكله قبل أخذ اللبن منها وبعده ،بدليل ما ذكره ابن السكيت

ناسبا إياه الى ابن الإعرابي الذي يرى أن ضرع الناقة ((لا يكون خيفا حتى يكون فيه استرخاء ويخلو من اللبن))(٧٤) ،أي لا يدعى خيفا حتى يطاله التغيير في الحجم والشكل ،وبذلك يكون مراد الشاعر من الخيفين اختلاف حال ضرع الناقة قبل اخذ اللبن منها وبعده ،وبالطريقة نفسها فسّر ابن السكيت قول طرفة بن العبد :

فَمَرَّت كَهَاةٌ ذاتُ خَيفٍ جُلالَةٌ عَقيلَةُ شَيخٍ كَالوَبيلِ يَلَنْدَدِ(٧٥)

فالكهاة الناقة الضخمة والخيف جلد ضرع الناقة(٧٦) لما يمر عليه من اختلاف الحال كما تبيّن سابقا .

ومن ذلك (الفرط) إذ يذكر ابن السكيت أنَّ الأصل فيه من ((يتقدم الواردة فيهئ الأرسان والدلاء ويمدر الحوض ويستقى لها))(٧٧) ،فالمتقّدم على الناس رجل فرط ،وفارط ،والجمع فُراط ، وبذلك فسَّر بيت أبي محمد الفقعسي :

وَمَنْهَلٍ وَرَدْتُهُ الْتِقَاطَا لَمْ أُلْقَ إِذْ وَرَدْتُهُ فُرَاطَا

فالفُراط : أي متقدمين للسقي ،وكذا فعل مع قول القطامي :

وَاستَعجَلُونا وَكَانُوا مِنْ صِحَابَتِنا كَما تَعَجَّلَ فُرّاطٌ لِوِرّادِ

ثمَّ اتسعت العرب في دلالة الفرط فأطلقت اللفظ على كلِّ متقدّم ،فقيل :رجل فرط ،وقوم فرط أي متقدمون على غيرهم ،ومنه قيل للطفل الميت : اللهم اجعله لنا فرطا ،أي :أجرا يتقدمنا حتى نَرِدُ عليه ،ويأتي بشواهد متعددة للدلالة على اتساع العرب في دلالة هذا اللفظ ،من ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((أنا فرطكم على الحوض))(٧٨) أي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) من يتقدّم المؤمنين إليه ،ومن ذلك قولهم : فرط إليه مني الكلام ،أي: تقدّم وسبق ،ومنه قولهم فرس فرط ،أي تقدم الخيل وتسرّع (٧٩)،وبحسب الاتساع في دلالة اللفظ فسّر ابن السكيت بيت طرفة بن العبد :

مَرَتـهُ الجَنـوبُ ثُـمَّ هَبَّـت لَـهُ الصَبـا إذا مَـسَّ مِنهـا مَسـكَناً عُدمُـــلٌ نَـزَل
مَتـى تَـرَ يَومـاً عَرصَـةً مِـن دِيارِهـا وَلَو فَرطَ حَولٍ تَسجُمُ العَينُ أَو تُهَل(٨٠)

بقوله :ولو فرط أي لو تقدّم المطر قطرات ،أي تقطر قطر تمهيدا لوقوع المطر(٨١)

ويذكر أبو اسحاق مصاديق كثيرة لمفهوم تعميم دلالة اللفظ من الخصوص الى العموم ،منها: إنَّ أصل الفَرْسِ دقُّ العنق ثم كثر واستعمل حتى صار كل قتل فَرْساً ،ويقال : قد فرس الذئب الشاة يَفرسُها فرسا (٨٢)،ومن ذلك أنَّ أصل النجعة طلب الغيث ،وأصله من انتجاع الغيث ،أي:طلبه ،ثم كثر فصار كل طلب انتجاعا (٨٣)، ومنه ايضا أن أصل (المسافة) من السوف وهو شم الدليل التراب لبيان الطريق ،ثم عمم اللفظ على ما بين الأرضيين أي المسافة بين موقعين من الارض ،يقول الرجل : إني آخذ مسافة هذه الأرض ،أي: بعدها(٨٤) ،ومنها أن أصل الأسر شدُّ الوثاق : يقال ربد بالقدِّ فأسَره أي شده فأحكمه ،ثم صار كل مأخوذ أسيرا(٨٥) ،ومن ذلك أنَّ أصل العقار النخل فعمم على المتاع ،فقيل في البيت عقار حسن ،أي متاع ،ثم عممت على الدار نفسها (٨٦).

٣- انتقال الدلالة :

إن تعقب معاني اللفظ الواحد عبر العصور قد يلقي على دلالته ضوءاً يزيده وضوحاً، ويكشف عن معاني ألفاظه ستاراً لم يكن ليتكشف فيما لو اكتفى الباحث بالمعنى الأول(المعجمي) للفظ ،فاللفظ قد يستعمل في عصر من العصور لمعنى معيّن يغاير المعنى الذي استعمل له اللفظ عينه في عصر آخر، لذا كان تفسير الألفاظ عن طريق شواهد من استعمال أهل العصر خيراً من تفسيرها عن طريق المعجم الموضوع في عصر من العصور(٨٧).

إنَّ اللفظ قد تتحول دلالته من مجال إلى آخر على غير طريقة التخصيص أو التعميم السابقتين، كالانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي الذي يؤدي إلى تغير في معاني المفردات؛ مما يؤدي في النهاية إلى انقراض المعنى الحقيقي عند مستعمل اللغة وحلول المعنى المجازي محله(٨٨)،ويعدُّ هذا الانتقال في دلالة اللفظ سمةً بارزة من سمات اللغة العربية الحية التي تتجدد وتتطور بتطور العصر ومقتضياته.

إنَّ التطور الدلالي بوساطة النقل : هو انتقال دلالة اللفظ من دلالة إلى أخرى، كأن تنتقل الدلالة المجردة إلى مجال الدلالة المحسوسة أو بالعكس، لعلاقة أوصلة قد تكون واضحة أو خفية بين الدلالتين، وقد يستطيع المتتبع لمراحل التطور اللغوي للفظ أن يدرك هذه الصلة، وقد يصعب(٨٩) إدراكها في بعض الأحيان ؛لعدم عناية أوائل العلماء بتسجيل مراحل تطور الألفاظ الا ما ندر، ووجود هذه الصلة ضرورية ،ولا يمكننا نفيها أو نكرانها بأية حال من الأحوال(٩٠)، ويمكن تقسيم هذا التغيير في مجال الدلالة على :

أ- الانتقال المباشر :

وهو أن تنتقل الألفاظ من معناها الى دلالة أخرى بصورة مباشرة ،وغالبا ما يختص هذا القسم بالألفاظ التي انتقلت من الجاهلية ودخلت الإسلام ،إذ كان لنزول القرآن الكريم أثر واضح في تجرد كثير من الألفاظ العربية عن معانيها القديمة لتدل على معان خاصة تتصل بالعبادات والشعائر والشؤون السياسية والإدارة والحرب ،ومنها : الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها(٩١) .

وقد سلك ابن السكيت هذا المسلك في تفسير تطور دلالة لفظ (التيمم) إذ يرى أنَّ أصل التيمم القصد ،ويقال تيممته إذا قصدت له ،وهذه هي الدلالة الأصلية للفظ وبها فسر قول عروة بن الورد :

إذا ما رأى يوماً مكارمَ أعرضَت تيَمَّمَ كُبراهُنَّ ثُمَّتَ صَمَّما(٩٢)

فقوله (تيمم) أي قصد وتعمد (٩٣) ،وقد تيمّمته ويممته وأمّمته :اذا قصدت له (٩٤)، ومنها قال الله جلَّ وعزَّ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا ﴾ ﴿النساء: ٤٣ ﴾،أي اقصدوا لصعيد طيب يقول : ثمَّ كثر استعمالهم هذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب(٩٥) ،فانتقل اللفظ من دلالة القصد الى عملية الوضوء من دون ماء في الآية الكريمة التي قرنت (التيمم) بما يتوضأ به في حالة عدم وجود الماء ،أي أنها الصلة الخفية التي تربط بين الدلالة الاولى للفظ ودلالته الثانية ،وبكثرة جريانها على ألسن الناس صاروا يطلقون على هذه العملية كلها لفظ التيمم .

ومن هذا المسلك عنده لفظ (الصرورة) إذ إنَّ أصل دلالة هذا اللفظ عنده القطع وهو من قولهم ((صَرَى أمره يَصْريه صَرْياً إذا قطعه))(٩٦) وبهذه الدلالة فسّر ما قاله الحطيئة :

صَرى قَولَ مَن كانَ ذا إِحنَةٍ وَمَن كانَ يَأمُلُ فِيَّ الضَلالا(٩٧)

بقوله : إنَّ (صرى) : قطع قولهم(٩٨) ،وسلك هذا المسلك في تفسيره لقول عروة بن الورد :

فَوَجَدتُكُم لِقَحاً حُبِسنَ بِخُلَّةٍ وَحُبِسنَ إِذ صُرّينَ غَيرَ غِزارِ(٩٩)

فقول الشاعر (صُرّين) عند ابن السكيت مأخوذ من التصرية ،وهي الانقطاع عن حلب الناقة فتترك أياما كي يجتمع الحليب في ضرعها (١٠٠)، ومذهبه في التفسير في هذين البيتين هو الأخذ بالدلالة الأولى التي أقرها للفظ.

وأطلق لفظ (الصرورة) في الجاهلية على كل من يقاطع الزواج ويتركه لغير سبب ،ويَنسبُ لأبي عبيده أن اللفظ يطلق في الجاهلية على من يقاطع الذنوب(١٠١) ،ثم تطورت دلالة اللفظ تطورا مباشرا في الإسلام لتدلّ على من يقاطع الحج لغير سبب ،ويشرح هذا التطور من خلال تفسيره لقول النابغة الذبياني :

لَـو أَنَّهـا عَرَضَـت لِـأشمَطَ راهِـبٍ عَبَـدَ الإِلَـهِ صَـرورَةٍ مُتَعَـبِّدِ(١٠٢)

إذ يقارن بين دلالة اللفظ قبل مجيء الإسلام وبعده بقوله : ((الصرورة في الاسلام: الذي لم يحجج قط ،وفي الجاهلية : الذي لم يتزوج قط . يقال :رجل صرورة وصارورة وصروريٌّ وصاروريٌّ))(١٠٣) وبما ان البيت لشاعر من شعراء الجاهلية فقد فسر ابن السكيت اللفظ في هذا الموضع بأنه : الذي لم يتزوج قط ،أما الصلة التي سوغت انتقال اللفظ من الدلالة الجاهلية الى الدلالة الإسلامية في هذا اللفظ هي اشتراك الدلالتين في معنى الانقطاع عن الشيء وهو المعنى الاول للفظ ،وعد هذا من باب التطور اللغوي ؛لأنَّ اللفظ واحد من دون زيادة أو تغيير ،والمعنى متغيّر بحسب العصر والزمن الذي مر به اللفظ.

ومن هذا المسلك عند ابن السكيت لفظ (سجد) فالأصل فيه أن يقال أسجد الرجل والبعير إذا طأطأ رأسه وانحنى نحو الأسفل ويستشهد ابن السكيت لهذه الدلالة بقول حميد بن ثور :

فُضُـولُ أزمتِهـا أسـجَدَتْ سُـجُودُ النصـارى لأربابِهـا(١٠٤)

والإسجاد أيضا أن تطأطأ الطرف فتنظر نحو الاسفل واستشهد لذلك ببيت كثير :

أغَـرْكَ مِنْـا أنَّ تِلـكَ عِنْـدَنا وإسْـجَاد عَينَيـكَ الصَـيُودَينِ رابِـحُ(١٠٥)

ثم انتقلت دلالة اللفظ في الإسلام الى العملية العبادية المعروفة التي تحدث في الصلاة ؛وذلك أن الإنسان في وضع السجود يُطأطئ رأسه ويميل بجسمه نحو الأسفل ، فقيل : قد سجد يسجد إذا وضع جبهته بالأرض(١٠٦) ،ثم أصبح السجود مصطلحا عباديّا في الإسلام واستقر على ذلك الى يومنا من دون تغيير ،والصلة بين دلالة اللفظ الأولى ودلالته التي استقر عليها أن كلتا الدلالتين في إطار عام واحد هو أن يطأطئ الساجد ويميل بنفسه نحو الأسفل .

ب- انتقال الدلالة بالمسالك البيانية :

تُعدُّ المسالك البيانية من استعارة ومجاز من ابرز المسالك التي تسلكها دلالة اللفظ عند تطورها ،ويقسّم هذا الانتقال في الدلالة - سواء أكان مقصوداً أم غير مقصود - على قسمين :

- ما يسلك مسلكي التشبيه والاستعارة :

الاستعارة من سنن العرب في كلامها ،لذا شاعت وتفشت أمثلتها في كلامهم منظومه ومنثوره(١٠٧)،ومنها قولهم (عين الإبرة) وهو استعمال بياني سوغه شدّة التشابه بين ثقب الإبرة وبين (عين الإنسان) ،ثم حذف المشبه به وهو الإنسان وبقي لفظ العين التي هي إحدى لوازمه لذا فهي من باب الاستعارة (١٠٨) .

وكثيرة هي الألفاظ التي سلك في تفسيرها ابن السكيت هذا المسلك ،منها تفسيره للفظ (خلج) فأصل الخلج عنده أن يُجذب ولد الناقة عنها بذبح أو موت ،ثم قالت العرب (ناقة خلوج) ،إذا جذب عنها ولدها ،فقد ولهت شهرين فهي خلوج(١٠٩)،وبحسب هذه الدلالة فسر لنا كثيرا من الألفاظ ومنها قول الحطيئة:

وَصَــريمَةٍ بَعــدَ الخِــلاجِ قَطَعتُهــا بِالحَزمِ إِذ جَعَلَت رَحاهُ تَدورُ(١١٠)

أذ يذكر أنَّ الخلاج : الجذب والشد(١١١) ،وبحسب هذه الدلالة شرح بيت طرفة بن العبد:

خُلُـــجُ الشَـــــــدِّ مُلحّـــاتٌ إذا شـالَتِ الأَيـدي عَلَيهـا بِالجِـذَم(١١٢)

إذ فسّر (خُلجُ) بأن الخيل تجذب الجري جذباً(١١٣) ،وكذا فعل في بيت عروة بن الورد :

قَطَعتُ بِهـا شَـكَّ الخِلاجِ وَلَـم أَقُـل لِخَيّابَـةٍ هَيّابَـةٍ كَيـــــفَ تَـأمُرُ(١١٤)

إذ يقول : شكَّ الخلاج : أي : ما جاذبني ونازعني وشككني(١١٥) ،وفسّر قول النابغة الذبياني :

لَـهُ خُلُـجٌ تَهـوي فُـرادى وَتَرعَـوي إِلى كُلِّ ذي نيرَينِ بادي الشَواكِلِ(١١٦)

يقول :خلج : أي طرق تخلجه وتجذبه عن يمينه وشماله(١١٧) ، ثم أنتقلت الدلالة وأطلق لفظ (الخليج) على المكان الذي تقصده السفن للرسو يقول ابن السكيت : ومنه سمي الخليج خليجاً(١١٨)؛ لأنه يجذب السفن اليه ،إذ شبهت العرب الخليج بالناقة التي تجذب اليها الصغار ؛لأنها فقدت ولدها ،ثم حذفت العرب المشبه به ،وتناست هذا التشبيه ،فأطلقت اللفظ على خليج البحر ،وهذا من باب الاستعارة ؛لأنَّها في أبسط تعريف لها تشبيه حُذِف أحد طرفيه(١١٩) .

وسلك ابن السكيت هذا المسلك في بيان تطور اللفظ (مجر) فأصل المجر عنده أن يعظم بطن الضأن من الحَملِ وتكون مهزولة لا تقوى على النهوض(١٢٠) ، وبحسب هذه الدلالة فسر قول الحطيئة :

لَهُـم نَفَـرٌ مِثـلُ التُيـوسِ وَنِسـوَةٌ مَمـاجيرُ مِثـلُ الآتُـنِ النَعِـراتِ(١٢١)

اذ يقول ابن السكيت : ((مماجير :أصله من الضأن ،يقال :نعجة ممجر :اذا عظم ولدها في بطنها ،وكانت مهزولة))(١٢٢)،ثم تطورت دلالة اللفظ فصارت تطلق على الجيش ،يقول: ((ومنها قيل للجيش العظيم مجر))(١٢٣) ،فكأن العرب شبَّهت الجيش العظيم بالضأن عظيمة البطن وحالها مهزولة ،والصلة بين الدلالتين (وجه الشبه) هو بطئ الحركة والتثاقل ،ثم حذفت

العرب المشبه به وتناست التشبيه ،فأطلق على الجيش العظيم (مجر) ،ويؤكد في موضع أخر الدلالة الجديدة للفظ بقوله في باب الكتائب : ((المنسر والمنقب : ما بين الثلاثين الى العشرين من الخيل ،فإذا كثروا فهي الفيلق ،والمجر أكثرها)) يريد بذلك الجيش العظيم(١٢٤).

ومن هذا المسلك أيضا ما ذكره في (أصيد) اذ يرى أن قول العرب (رجل أصيد) و(قوم صِيدٌ)، تطلق على الرجل إن كان متكبرا شامخا بأنفه، ويرى أن أصل اللفظ من (الصاد) و(الصيد) ،وهو داء يأخذ الإبل في رؤوسها، فيلوي رؤوسها(١٢٥) ،فكأن العرب شبهت من تكبّر على الناس بالبعير إذا أصابه هذا المرض ،والصلة بين الدلالتين (وجه الشبه) هي صورة البعير المصاب بالمرض وقد لوى رأسه التي تشابه وتحاكي صورة المتكبّر الذي صعّر خده للناس ،ثم حذفت العرب المشبه به ،وأطلقت اللفظ على المتكبّر من باب الاستعارة ،ثم تناست العرب هذا التشبيه ،فتغيّرت دلالة اللفظ وتطوّرت ،ويذكر ابن السكيت شاهدا على الدلالة الأخيرة للفظ بقول الشاعر:

❖ صَنِيعُ اليَدينِ بِحَيْث يُكوى الأصْيَدُ ❖(١٢٦)

أي المتكبّر .

ومما أورده في مسلك التطور بالاستعارة قولهم : (توحشْ للدواء) ،أي: (اخل جوفك من الطعام) ،ويقال(بات الرجل وحشا) إذا لم يطعم شيئاً(١٢٧)، و(الوحشة) الخلوة والهم و(أوحش المنزل): أقفر وذهب عنه الناس(١٢٨).

ومن ذلك قولهم (أعرابي جلف) أصله من أجلاف الشاه وهي الشاه المسلوخة بلا قوائم ولا رأس ولا بطن. وقولهم (قد خاس البيع والطعام) وأصله خاست الجيفة في أول ما تروح فكأنه كسد حتى فسد(١٢٩) ،وقولهم

(كبر حتى صار كأنه قفة) فالقفة في الأصل هي الشجرة البالية اليابسة (١٣٠)، ومن التطور بمسلك الاستعارة قولهم : لححت عينه إذا التصقت ومنه قيل هو ابن عمى لحاً(١٣١) .

- **ما يسلك مسلك المجاز المرسل (المجاز المرسل)**[١٣٢] :

إنَّ المجاز المرسل هو اللفظ المستعمل في غير مواضعه لعلاقة غير المشابهة بين المعنى الاصلي والمعنى المستعمل فيه ،مع وجود قرينة مانع من إرادة المعنى الأصلي ،كقولنا :رعت الماشية الغيث ،فالماشية لا ترعى الغيث وإنما ترعى الأعشاب التي يكون الغيث سببا في ظهورها ونموها ،ويعد المجاز المرسل من أبرز مسالك التطور الدلالي بالنقل ،وقد أشار العلماء الى أثره في تطور دلالة الألفاظ قديما وحديثا ،وقد أشار ابن قتيبة إليه في (باب تسمية الشيء باسم غيره)(١٣٣) ،وخصّه ابن فارس بفصل اسماه بـ(باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص على المجاورة والسبب)(١٣٤)، وممن ذكره من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس(١٣٥) وعلي عبد الواحد وافي(١٣٦) ،وستيفن اولمان(١٣٧) ،وغيرهم(١٣٨)، وأوردوا أمثلة مختلفة منه ،وتعدد أنواع المجاز المرسل وتقسيماته - كما هو معروف - بتعدد العلاقات (الصلات) التي تفسّر وتبيّن ارتباط المدلول القديم للفظ بمدلوله الذي تطور إليه ، وقد ذكر ابن السكيت مجموعة من الألفاظ التي تطوّرت دلالتها من خلال هذا المسلك ،،وسأذكرها مرتبة بحسب ترتيب علماء البلاغة لعلاقات المجاز المرسل :

- **اللازمية** : وهي عند البلاغيين : كون الشيء يجب وجوده عند وجود شيء آخر ،نحو طلع الضوء ،أي الشمس ،فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية ؛لان الضوء يوجد عند وجود الشمس(١٣٩)،ومما ذكره ابن السكيت بحسب هذا المسلك تطور دلالة لفظ (الرغد) فأصل الرغد عنده كثرة الغيث ،ثم أطلقت العرب الرغد على العيشة المترفة المنعمة مجازا ،وهو من

باب المجاز المرسل بعلاقة- الصلة بين الدلالتين القديمة والجديدة - اللازمية ،لأن الحياة المنعمّة تجب الوجود عند وجود كثرة الغيث(١٤٠) .

- **الآلية** :وهي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء الى آخر ،وذلك فيما إذا ذكر اسم الآلة وأريد الأثر الذي ينتج عنه ،أو بالعكس ، ومن ذلك ما ألمح اليه ابن السكيت من أن العامة تطلق لفظ (حمّة) على شوكة العقرب والزنبور التي تلسع بها أي الإبرة، والحمّة هي السم الذي في الشوكة(١٤١)،فأطلقت العرب اسم السم على الآلة التي يصل بها أثر السم الى الملسوع.
- **اعتبار ما كان في الماضي** : وهو النظر الى الماضي ،أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه ،ومما ذكره ابن السكيت بحسب هذا المسلك تطور دلالة اللفظ (الإسفنط) إذ يرى أنه اسم بالرومية معرّب ،وليس بالخمر. إنما هو عصير عنب ،وهو مروي بكسر الفاء وفتحها ،والعامة تطلقه على الخمر(١٤٢) ،أي أن العرب أطلقت على الخمر اسم ما كان عليه أولا قبل تحوله الى خمر ،وهذا من المجاز المرسل بعلاقة اعتبار ما كان في الماضي .
- **المحلية** : وهي كون الشيء يحل فيه غيره ،فيذكر المتكلّم المحل ويريد ما يحل في ذلك المحل(١٤٣) ،وما ذكره ابن السكيت بحسب هذا المسلك قول العرب : (أكلنا ملة) والملة هي الرماد الحار ،والصواب ان يقال (خبز ملة)(١٤٤) وما ذلك الا لجعلهم (الملة) هي الخبزة، غير انَّ الملة هي موضع الخبز (التنور) اسمي بذلك لحرارته(١٤٥)، فأطلق اسم المحل (المكان) على ما يحل فيه ،فقالوا أكلنا ملة .

ولا ينحصر انتقال الدلالة عند ابن السكيت بالمجاز المرسل فقط بل يذكر مثالا على انتقال دلالة اللفظ بالمجاز العقلي الذي هو عند البلاغيين إسناد الفعل أو ما هو في معناه على غير ما هو له في أصل اللغة(١٤٦) ،وله علاقات

مشهورة منها (الزمانية)(١٤٧) التي تطورت بها دلالة لفظ (العتمة) عند ابن السكيت ،فهي في الأصل عنده تدلّ على وقت صلاة العشاء الآخرة ، وإنما سموها العتمة من استعتام نعمها ،ويقال : حلبنا العتمة ،والعتمة بقية اللبن في الضرع تفيق بها الدابة تلك الساعة ،ويقال حلبت العتمة ،وأفاقت الناقة إذا جاء وقت حلبها في العتمة وقد حلبت قبل ذلك (١٤٨)، وهذا من باب المجاز العقلي ،لأن العرب أسندت الفعل (حلب) الى الزمان ،وهو غير ما هو في الحقيقة ،إذ يجب أن يسند للبن فتقول حلبت اللبن عتمةً ،فأطلقوا على اللبن اسم الوقت والزمن الذي يؤخذ فيه ذلك اللبن .

الخاتمة :

من كل ما تقدم نجد أن هذا العالم الجليل قد راعى زمن الكلام الذي قيل فيه خلال شرحه الأبيات الشعرية فكان يبدأ بذكر دلالات الألفاظ في عصر الشاعر ثم يورد دلالاتها المختلفة عبر العصور ،وصنيعه هذا مكننا من تصور التطور التاريخي الذي حصل لتلك الألفاظ ،والمسالك التي سلكتها في تطورها الدلالي عبر العصور المختلفة .

ملخص البحث:

اللغة ظاهرة إنسانية واجتماعية تخضع للتطور في أصواتها وتراكيبها ودلالاتها بتقدم الزمن ،وقد أثيرت مسألة التطور اللغوي من قبل علماء اللغة المحدثين ،إذ قلّما نجد أحد علماء العربية الأقدمين يتطرق إلى ذلك ،لانشغالهم بالمادة اللغوية في حدِّ ذلتها جمعا وتفسيرا ،ومن أوائل من فعل ذلك منهم (ابن السكيت) ،وقد سار لبيان ذلك في مسالك عامّة هي التطور بالتخصيص والتطور بالتعميم ،والتطور بانتقال الدلالة ،ويحاول هذا البحث وصف جهد هذا العالم الجليل في ذلك.

ABSTRACT

Language is a human and social phenomenon subject to the development of its voices and structures and their implications of the progress of time. The question of linguistic development was raised by the modern linguists, as one of the oldest Arab scholars rarely mentions this, because they are preoccupied with linguistic material. (Ibn al-Skeit), and went to show this in the general paths is the evolution of privatization and development of generalization, and the evolution of the transfer of significance, and this research attempts to describe the effort of this smart man in it.

هوامش البحث

(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة : ١٥٢- ١٥٣.

(٢) ينظر : إصلاح المنطق : ٢٨٤ ،٢٨٧ ،٣١٣ .

(٣) ينظر : أدب الكاتب : ١٧-٢٦.

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٨٣- ٢٤٩.

(٥) ينظر : جمهرة اللغة : ٣/٤٣٢-٤٣٤.

(٦) ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة : ٩٥-٩٦(باب القول في أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها) ،والسيوطي في كتابه المزهر :١/٢٩٤-٣٠٣ (باب معرفة الألفاظ الإسلامية) .

(٧) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية : ٣٢.

(٨) ينظر : دور الكلمة في اللغة : ١٥٥.

(٩) ينظر : المصدر نفسه : ١٨٢- ١٨٧.

(١٠) ينظر : علم اللغة لوافي ٣١٩- ٣٢٥ دور الكلمة في اللغة ١٥٤- ١٦٠ ، دلالة الألفاظ ١٣٤-١٥١.

(١١) ينظر : الترادف في اللغة (د. حاكم مالك) :١٥٠

(١٢) ينظر : دلالة الألفاظ ١٣٤.

(١٣) ينظر : دلالة الألفاظ : ١٣٤ ،و علم اللغة (علي عبد الواحد وافي): ٢٩٢.

(١٤) علم اللغة (علي عبد الواحد وافي) :٢٩٣.

(١٥) المصدر نفسه : ٢٩٣- ٢٩٤.

(١٦) ينظر :لسان العرب : ٤/٣٦٥.

(١٧) ينظر :صحيح مسلم : ١٣٩٨/٣.
(١٨) ينظر :اساس البلاغة : ٦٨١.
(١٩) ينظر :التطور اللغوي التاريخي : ٢٧.
(٢٠) المصدر نفسه : ٤٥٩ .
(٢١) لحن العامة والتطور اللغوي /رمضان عبد التواب/الناشر:دار المعارف –القاهرة /ط١/١٤٠٥هـ -١٩٨٧م : ٥٨.
(٢٢) ينظر : علم اللغة (علي عبد الواحد وافي) :٣٢٤.
(٢٣) ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي :٢٨١ .
(٢٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٨١.
(٢٥) ينظر :الترادف في اللغة (د. حاكم مالك):٢١ .
(٢٦) ينظر :دلالة الألفاظ : ١٥٢ وما بعدها ، دور الكلمة في اللغة : ١٦٢ -١٦٣،وفقه اللغة وخصائص العربية : ٢١٨.
(٢٧) ينظر : إصلاح المنطق : ٢٨٤ ،٢٨٧ ،٣١٣ .
(٢٨) الترادف في اللغة (د.حاكم مالك) :٢١-٢٢.
(٢٩) إصلاح المنطق : ٥.
(٣٠) المصدر نفسه : ١٩.
(٣١) ينظر : ديوان الحطيئة : ١٦٣.
(٣٢) تصحيح الفصيح وشرحه /لابن درستويه/تحقيق :محمد بدوي المختون ،ورمضان عبد التواب/منشورات وزارة الاوقاف –مصر /د.ط/١٤١٩-١٩٩٨م :٣١٩.
(٣٣) المصدر نفسه : ١٦٣.
(٣٤) ديوان النابغة الذبياني : ١١-١٢.
(٣٥) ينظر : المصدر نفسه : ١٢.
(٣٦) العين : ٢٥١/٣.
(٣٧) ديوان الحطيئة : ٢٠٧.
(٣٨) ينظر : ديوان الحطيئة: ٢٠٧ .
(٣٩) النجعف هو المصروع ،ينظر :دلالة الألفاظ :٣٢٨.
(٤٠) الألفاظ : ٣٢٨.
(٤١) تفسير غريب القران/ابن قتيبة الدينوري /تحقيق : السيد أحمد صقر/الناشر :دار الكتب العلمية – بيروت /د.ط/١٩٧٨م : ٣٤٩.

(٤٢) إصلاح المنطق : ٢٧٢، ٣٢٧ ،والألفاظ : ١٨ ، ٢٣ ، ٤٧١ .
(٤٣) ينظر لحن العوام : ٣٢٩-٣٣٠.
(٤٤) ديوان الحطيئة : ٢٧٤ .
(٤٥) ديوان الحطيئة : ٢٧٤.
(٤٦) المصدر نفسه : ٢٣٦.
(٤٧) المصدر نفسه: ٢٣٧.
(٤٨) المصدر نفسه : ١٢٣.
(٤٩) ينظر المصدر نفسه : ١٢٣.
(٥٠) ديوان عروة بن الورد :١١٦.
(٥١) ينظر :المصدر نفسه :١١٦ .
(٥٢) ينظر :إصلاح المنطق : ٢٧٢، ٣٢٧.
(٥٣) ينظر : الالفاظ : ٣٦٠ ،واصلاح المنطق :٣٣٧.
(٥٤) ديوان الحطيئة : ١٠٥.
(٥٥) المصدر نفسه : ١٠٥.
(٥٦) ينظر الألفاظ : ٣٦٠ .
(٥٧) يذكر محقق كتاب الألفاظ أن البيت لنافع بن لقيط ،وهو منسوب لنافع أيضا في في التهذيب :٣٠٥/١٤.
(٥٨) ينظر الألفاظ : ٣٦٠ .
(٥٩) ينظر : إصلاح المنطق :١٢٣، ١٠٣ ،وأدب الكاتب :١٧ .
(٦٠) ينظر : ديوان الحطيئة :٤٢ ،وديوان عروة بن الورد :١٣٤.
(٦١) ينظر : ديوان الحطيئة : ١٨٧ ، ٢٥٠ .
(٦٢) ينظر : الألفاظ :١٨٥ .
(٦٣) ينظر فقه اللغة وخصائص العربية : ٢١٨.
(٦٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٣٧٥.
(٦٥) ينظر : علم الدلالة (دراسةً وتطبيقا) :٥٧- ٥٨.
(٦٦) ينظر : دلالة الألفاظ ١٥٤- ١٥٦.
(٦٧) ديوان الحطيئة : ٣٣.
(٦٨) ينظر ديوان الحطيئة : ٣٣
(٦٩)الألفاظ : ١١٩ ، البيت منسوب في الكتاب لابي محمد الفقعسي .

(٧٠) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٤ -١٠٥.
(٧١) ينظر : إصلاح المنطق : ١٥ ،٦٧ ،والألفاظ : ٣٥٣.
(٧٢) ديوان الحطيئة : ١٨٧ .
(٧٣) المصدر نفسه : ١٨٧.
(٧٤) المصدر نفسه : ١٨٧.
(٧٥) ديوان طرفة بن العبد :٣٤.
(٧٦) ينظر :المصدر نفسه :٣٤.
(٧٧) إصلاح المنطق : ٦٧ -٦٨.
(٧٨) صحيح البخاري :٢٤٠٤/٥.
(٧٩) ينظر : إصلاح المنطق : ٦٧ -٦٨.
(٨٠) ديوان طرفة بن العبد : ٢٠ .
(٨١) ينظر المصدر نفسه : ٢٠ .
(٨٢) ينظر: إصلاح المنطق : ٢٧ ،٢٥٨ ،والألفاظ :٨٤.
(٨٣) ينظر : الألفاظ : ٤١٧ .
(٨٤) ينظر : ديوان الحطيئة :٢٥٦ ،وديوان عروة بن الورد :٩٣.
(٨٥) ينظر : إصلاح المنطق :٣١٣.
(٨٦) ينظر : المصدر نفسه : ٣٨٣،
(٨٧) نحو وعي لغوي: ١٠٩.
(٨٨) ينظر علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي: ٣٢١، والتطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ٥٣-٥٤.
(٨٩) ينظر : دور الكلمة ١٧٠- ١٧١ .
(٩٠) ينظر : دلالة الألفاظ ١٢٧- ١٣٣.
(٩١) ينظر :فقه اللغة (علي عبد الواحد وافي) :١١٥.
(٩٢) ديوان عروة بن الورد :٨٦.
(٩٣) ينظر المصدر نفسه : ٨٧ .
(٩٤) ينظر : الألفاظ :٤١٧.
(٩٥) ينظر :إصلاح المنطق : ٣١٥.
(٩٦) الألفاظ : ٣٧١.
(٩٧) ديوان الحطيئة :٢٥٢.

(٩٨) ينظر :المصدر نفسه : ٢٥٢.
(٩٩)ديوان عروة بن الورد :١٧٥ .
(١٠٠) ينظر ديوان عروة بن الورد : ١٧٥.
(١٠١) ينظر :ديوان النابعة الذبياني : ٣٣.
(١٠٢) المصدر نفسه : ٣٣.
(١٠٣) المصدر نفسه : ٣٣.
(١٠٤)ديوان حميد بن ثور الهلالي /جمع وتحقيق : د.محمد شفيق البيطار/السلسلة التراثية ٢٣- الكويت/ط١/١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م :٨٩ ،والبيت في الديوان (لأحبارها) .
(١٠٥)ديوان كثير عزة /جمع وشرح :د.إحسان عباس /الناشر: دار الثقافة – بيروت/١٣٩١هـ- ١٩٧١م :١٨٤.
(١٠٦) ينظر : إصلاح المنطق : ٢٤٧ .
(١٠٧) ينظر : الصاحبي: ٢٠٤.
(١٠٨) ينظر: دور الكلمة في اللغة : ١٦٥- ١٦٦.
(١٠٩) ينظر : إصلاح المنطق : ٧٧.
(١١٠) ديوان الحطيئة : ١٤٤.
(١١١) ينظر : المصدر نفسه : ١٤٤.
(١١٢) ديوان طرفة بن العبد :٥٩.
(١١٣) ينظر : المصدر نفسه : ٥٩ .
(١١٤) ديوان عروة بن الورد : ١٣٠
(١١٥) ينظر : المصدر نفسه : ١٣٠ .
(١١٦) ديوان النابغة الذبياني : ٦٧ .
(١١٧) ينظر : ديوان النابغة الذبياني : ٦٧.
(١١٨) ينظر : إصلاح المنطق : ٧٧.
(١١٩) ينظر : جواهر البلاغة :٢٦٤ .
(١٢٠) ينظر : إصلاح المنطق : ٤٠٠ .
(١٢١) ينظر : ديوان الحطيئة : ١١٣.
(١٢٢) المصدر نفسه : ١١٣.
(١٢٣) إصلاح المنطق :٤٠٠ .
(١٢٤) الألفاظ : ٣٥ .

(١٢٥) ينظر :المصدر نفسه : ١١١.
(١٢٦) الألفاظ : ١٢٠ .
(١٢٧) ينظر :إصلاح المنطق : ٣١٧.
(١٢٨) ينظر :الصحاح : ١٠٢٥/٣ (وحش).
(١٢٩) ينظر :إصلاح المنطق ٣١٧.
(١٣٠) ينظر : المصدر نفسه : ٣١٤.
(١٣١) المصدر نفسه : ٢١٦ ، ٣١٢.
(١٣٢) فصلت كتب البلاغة الكلام عليها وقد عدته أحد أركان علم البيان.
(١٣٣) ينظر :أدب الكاتب :١٧.
(١٣٤) ينظر : الصاحبي : ٩٤- ٩٥.
(١٣٥) ينظر:دلالة الألفاظ : ١٦٥- ١٦٧.
(١٣٦) ينظر :علم اللغة لوافي: ٣١٦- ٣١٧، ٣٢١ ، وفقه اللغة : ٢٢٧.
(١٣٧) ينظر : دور الكلمة في اللغة: ١٦٩- ١٧١.
(١٣٨) ينظر : المشترك اللفظي: ٥٠، والترادف : ٢٥- ٢٦.
(١٣٩) جواهر البلاغة : ٢٥٥-٢٥٦.
(١٤٠) ينظر الألفاظ : ١٢ .
(١٤١) ينظر :إصلاح المنطق : ١٨٢.
(١٤٢) الألفاظ :٢٦٧-٢٦٨.
(١٤٣) ينظر : جواهر البلاغة : ٢٥٧ .
(١٤٤) إصلاح المنطق ١٩٩، ٢٨٤- ٢٨٥، أدب الكاتب ٣٢، الفصيح ٩٢.
(١٤٥) أدب الكاتب ٣٢.
(١٤٦) ينظر :جواهر البلاغة : ٢٥٨ .
(١٤٧) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٨ .
(١٤٨) ينظر : الألفاظ : ٢٩٥.

قائمة المصادر والمراجع

- أدب الكاتب /عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري/ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد /الناشر: مكتبة السعادة - مصر /ط٤/ ١٩٦٣.
- أساس البلاغة / أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري/الناشر: دار الفكر - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

- إصلاح المنطق /لابن السكيت/شرح وتحقيق:أحمد شاكر،وعبد السلام هارون/الناشر:دار المعارف –مصر/سلسلة ذخائر العرب (٣) /د.ط/د.ت.
- تاج اللغة وصحاح العربية /اسماعيل بن حماد الجوهري(ت٤٠٠هـ)/تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو/الناشر:دار الفكر –بيروت/د١/١٩٩٨م .
- الترادف في اللغة /حاكم مالك لعيبي/الناشر :دار الرشيد-بغداد/د.ط/١٩٨٠م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم/عودة خليل أبو عودة/الناشر :مكتبة المنار –الأردن/ط١/١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- التطور اللغوي التاريخي/إبراهيم السامرائي/الناشر:دار الأندلس-بيروت/ط٣/١٩٨٣م.
- تفسير غريب القران/ابن قتيبة الدينوري /تحقيق : السيد أحمد صقر/الناشر :دار الكتب العلمية – بيروت /د.ط/١٩٧٨م.
- تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري / تحقيق: محمد عوض مرعب /الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت /ط١/ ٢٠٠١م.
- جمهرة اللغة/ابن دريد/ تحقيق: رمزي منير بعلبكي /الناشر: دار العلم للملايين - بيروت /ط١/ ١٩٨٧م.
- دلالة الألفاظ /إبراهيم أنيس/الناشر:مكتبة الانجلو المصرية/ط٥/١٩٨٤م.
- دور الكلمة في اللغة /استيفن اولمان/ترجمة:كمال بشر/الناشر:مكتبة الشباب-مصر/ط٣/١٩٧٢م.
- ديوان الحطيئة بشرح ورواية ابن السكيت/تحقيق:نعمان محمد أمين طه/الناشر:مكتبة الخانجي-القاهرة/ط١/١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي /جمع وتحقيق : د.محمد شفيق البيطار/السلسلة التراثية ٢٣-الكويت/ط١/١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .
- ديوان طرفة بن العبد بشرح ورواية ابن السكيت /أحمد بن الأمين الشنقيطي/الناشر:مطبعة سي- قزانده /١٩٠٩م.
- ديوان كثير عزة /جمع وشرح :د.إحسان عباس /الناشر: دار الثقافة – بيروت/١٣٩١هـ-١٩٧١م .
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها /أحمد بن فارس/علق عليه:أحمد حسن بسج/الناشر:دار الكتب العلمية-بيروت/ط١/١٤١٨هـ -١٩٩٧م .
- الجامع الصحيح المختصر/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي/ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا /الناشر: دار ابن كثير - بيروت /ط٣/١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- شرح ديوان عروة بن الورد/ ابن السكيت يعقوب بن اسحاق /اعتنى يتصحيحه:الشيخ ابن أبي شنب/الناشر:مطبعة جول كربول –الجزائر/١٩٢٦م.
- شرح ديوان النابغة الذبياني /ابن السكيت يعقوب بن اسحاق/تحقيق:شكري فيصل/الناشر:دار الفكر:١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.
- صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري/تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت/د.ط/د.ت.
- علم الدلالة (دراسةً وتطبيقا) /نور الهدى لوشن/الناشر: المكتب الجامعي الحديث/ط١/د.ت.
- علم اللغة /علي عبد الواحد وافي/الناشر:دار النهضة –القاهرة/ط٧/د.ت.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي /محمود السعران/الناشر :دار النهضة العربية –بيروت /د.ط/د.ت.
- كتاب العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي/تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي/الناشر: دار ومكتبة الهلال/د.ط/د.ت.
- الفصيح /أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب(ت٢٩١هـ)/تحقيق:عاطف مدكور/الناشر:دار المعارف- القاهرة/د.ط/د.ت.
- فقه اللغة وخصائص العربية /محمد مبارك /الناشر :دار الفكر/ط٢/١٩٦٤م.
- كتاب الألفاظ /ابن السكيت يعقوب بن اسحاق /تحقيق:فخر الدين قباوة /الناشر:مكتبة لبنان ناشرون /ط١/١٩٩٨م.
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة /عبد العزيز مطر/الناشر :دار الكتاب العربي-القاهرة /د.ط/١٩٦٧م.
- لحن العامة والتطور اللغوي /رمضان عبد التواب/الناشر:دار المعارف –القاهرة /ط١/١٤٠٥هـ -١٩٨٧م .
- لحن العوام /أبو بكر الزبيدي(ت٣٧٩هـ)/تحقيق:رمضان عبد التواب/ط١/١٩٦٤م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ جلال الدين السيوطي / تحقيق: فؤاد علي منصور/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت /ط١/ ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
- لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظور /الناشر: دار صادر – بيروت/ط١/د.ت.
- نحو وعي لغوي/مازن المبارك/الناشر:مؤسسة الرسالة-بيروت/ط٢/١٤٠٦هـ -١٩٨٥م .